الفصل الثالث

العولمة وسياق الوعى الكوكبي

"الايديولوجيا والقيم الكونية "

مقدمة :

كما أن للعولمة " الرأسمالية " دور رئيسى فى إعادة تشكيل البنية الطبقية على مستوى كوكبي ، فإن لها دور آخر فى إشاعة وتكريس أنماط من الوعى الكوكبى ، الحقيقي والزائف على حد سواء • وبوصفه وعيا كوكبيا فهو متعدي للجنسية ، وهو ينطوى على مستويات متعددة ، تبدأ بالإدراك الآنى المباشر وتنتهى بالوعى المتبلور ذى الطبيعة الاستراتيجية • هذا الوعى ينصب بالأساس على فلسفة ، واستراتيجيات ، وآليات عمل النظام الرأسمالى الكوكبى على كافة أصعدته الاقتصادية ، والسياسية ، والايديولوجية ، وكذا مضاداتها وبدائلها •

يتولد هذا الوعى – فى أكثر جوانبه أهمية – نتيجة لعمليات ممتدة من الصراع بين المصالح المختلفة للبشر ، الذين يتفاوتون فى كم ونوع استفادتهم من نمط الانتاج الرأسمالى المعولم ، وفقا لمواقعهم داخل نطاق بنية طبقية متعدية للجنسية • فكما أن هناك شرائح وجماعات طبقية رأسمالية ووسطى معولمة تمارس هيمنتها على مستويات اقتصادية ، وسياسية ، وايديولوجية ، فإن هناك جماعات وشرائح طبقية أخرى ، عمالية ووسطى تقليدية ، تمارس عليها عملية الهيمنة هذه بكافة مستوياتها •

حيث يلعب (المكون الايديولوجي) المصاحب للعولمة الرأسمالية دورا بالغ الأهمية فى محاولة لتكريس انماط بعينها من الوعى الكوكبى المعولم ، وضمان الحفاظ على مصالح المهيمنين عليه •

هذا ولا ينطوى الوعى الكوكبى على نمط واحد بعينه ، كالذى نتحدث عنه فى هذا الصدد بوصفه النمط المهيمن ، وانما ينطوى على أنماط

أخرى مضادة له تعمل على طرح قيم وأفكار وسياسات مناهضة ، وفى بعض الأحيان بديلة ، وان تكن فى مراحلها الجنينية ، كتلك الحركات الاجتماعية – السياسية التى تطرح ما يطلق عليه : العولمة من أسفل ، والتى سبق أن تناولناها فى الفصل الأول من هذه الدراسة .

ورغم أن هناك دراسات عديدة تناولت موضوع (العولمة الثقافية) ، والتى تبث من خلالها قيماً عديدة تتفاوت فى درجة تبينها للأيديولوجيا الرأسمالية المعولمة ، فإننا لا نكاد نعثر على دراسات امبيريقية تركز على دراسة أنماط الوعى الكوكبى ، وفى القلب منه ، دراسات القيم الاجتماعية لدى الشرائح والجماعات الطبقية المعولمة " متعدية الجنسية " وهو ما أقره أحد أهم المنظرين فى هذا المجال حين ذكر : " ان مسأله (الوعى الكوكبى) ماتزال محل جدال ، فهى تعد بمثابة سؤال امبيريقي مفتوح ، ذلك أن أحدا من منظرى العولمة العديدين لم يدرسه دراسة فعلية [1] ".

ومن ثم ، فقد يكون من الملائم بالنسبة لنا فى هذه الحالة ، أن نمهد لدراسة تحولات أنساق القيم الاجتماعية – بوصفها تعد أهم مكونات الوعى الكوكبى – لدي الشرائح والجماعات الطبقية المعولمة ، بإستعراض للمشهد الثقافى العالمى الراهن ، بما ينطوى عليه من تناقضات تولدت بفعل عملية العولمة ، نتلوه بمناقشة لتحولات أصابت بعض الرؤى العامة ذات الصلة بأحكامنا واختياراتنا للأشياء فى المواقف المختلفة ، ومنها ننتقل إلى استعراض لبعض الاجتهادات البحثية التى قاربت موضوع القيم ، وان يكن من منطلقات كونية Universal بإعتبارها تمثل توقا إلى وجود منظومة قيمية انسانية " مثالية " ، فى مقابل أخرى ذات طبيعة مغايرة تفرضها العولمة " الرأسمالية " .

---

[1] L.Sklair, Globalization, capitalism and Altetnatives, Third Idition, oxford university Press, oxford 2002,p:3 .

أولا : المشهد الثقافى العالمى الراهن :

انطلاقاً من الدور النشط للعولمة الرأسمالية فـى تكثيـف عمليـات التواصل متعدى الجنسية عبر الكوكب على مستويات متعددة : اقتصـادية ، وسياسية ، وثقافية ، ايديولوجية ، نجد أن السـمة الأكثـر بـروزا للثقافـة العولمية متمثلة فى التسليع بكافة صوره وأشكاله ، " ففى غمار التطـورات المستحدثة للعولمة تسقط الثقافة ضحية للشكل السلعى الـذى يقـود عمليـة تسويق الحداثة • ومثلما حدد (بودريار Boudrillard) الرأسمالية بوصفها النظام الذي لاحدود فيه للقيمة التبادليـة ، تتطـور الثقافـة لتفقـد قيمتهـا الاستعمالية، لصالح قيمتها التبادلية التي لاتضع في اعتبارها الحدود الوطنية لأى من البلدان على مستوى العالم ، خاصة النامى • وهي تعمل – فى هذا الصدد – على انعاش ذاتها بقوة وسائل الاعلام والشركات متعدية الجنسية [1].

لاتتم هذه العمليه قهراً وفرضاً في كافة الأحيان ، بل إن أحد أهم آليات التغلغل الثقافى الناجح على مستوى كوكبي ، تتمثل في جاذبية ما يطرح ويتم الترويج له بوصفه الأفضل •

ولا تتخذ عملية العولمة الثقافية الشكل التنميطى تمامـاً ، بـل تـتم الاستفادة من بعض الخصوصيات الثقافية المحلية التي قد تسهم فى انجـاح وزيادة فاعلية الأنماط الثقافية المطروحة وتنويع صورها •

وفي هذا يذكر (رايموند لي R. Lee) : " تترافـق عمليـة خلـق الأسواق واسعة النطاق مع التسليع المكثف للثقافة ، التى تسـتعمر بـدورها وقت فراغ الناس على اتساع الكوكب • وهو ما يتم من خلال التركيز على الانتفاع بعوالم الحياة وخصوصياتها في المجتمعات المحليه ، وذلك بهـدف

---

[1] Raymond Lee, Globalization and cultural change, current sociology, Vol 42. Summer, 1994, p:27.

تسهيل الاختراق السلعى ، بكافة أشكاله وأنواعه ، سواء أكان ماديا أم رمزياً.

بإختصار ، تتيح عملية التفاعل مع المجتمعات المحلية التقليدية الوسائل من أجل تفعيل الأسواق السلعية الكوكبية [١] .

وإذا ما كان هذا الاختراق ، الثقافى بالأساس ، يتم بسهولة ويسر فى بعض المجتمعات ، فإنه يجد من الصعوبات والتعثرات فى مجتمعات أخرى ما يجعل بعض الباحثين أمثال (باومان Bouman) و(كاسلز Castells) يحذرون من حالة الفصام البنائية بين منطقين مختلفين . يتمثل الأول فى ساحة التدفقات الكوكبية للسلع الكوكبية ، فى حين يتجسد الآخر فى المواقف اليومية للحياة المحلية . وهو ما يفضى إلى حد تقرير أننا قد نتجه نحو الحياة فى عالمين متوازيين لانتلاق أزمانهما علي الاطلاق [٢] .

هذا ومن الأهمية بمكان التأكيد على أن هذا المجتمع " المحلى " ليس واحداً موحداً على مستوى العالم ، بل إن للتباينات بين مجتمع وآخر ، دور فى كيفيات التعامل مع العولمة الرأسمالية ، خاصة على مستوياتها الثقافية .

حيث ترتبط عملية الجدل بين الكوكبي والمحلى ، بنوعية المجتمع المحلى ذاته ، ومدى ما يتمتع به من تكوين ينزع نحو أن يكون بسيطا أو معقداً. فما يصح بالنسبة لمجتمع ذا تكوين تاريخي ثقافي بسيط نسبيا ، لاينطبق بالضرورة على آخر يتمتع بحضارة انسانية فاعلة تاريخيا ، ورسوخ ثقافى ، وقدر من خبرات التعامل مع الثقافات الخارجية وهضمها واستيعابها . " فالمجتمع الذي يدخل كطرف فى فضاء عملية العولمة ، خاصة اذا كان مركبا ومعقدا وقديما ، له تكوينه الاجتماعى وميراثه السياسى والثقافى الخاص ، كما أن له مشاكله وجدول أعماله وعلاقاته الداخلية على

---

[١] Ibid, p:33 .

[٢] James Slevin, The Intetnet and society, Polity Press, canbridge, 2000,pp :198-201 .

الأصعدة الطبقية والسياسية والثقافية ، هو بهذا المعنى ، لايتشكل من جديد ولا يولد مع عملية العولمة، ليس مجرد مادة خام تشكلها عملية العولمة وفقا لقوانينها وبدون ارادة منه • والأحرى أن هذه العملية تظهر في كل مجتمع محدد بالكيفية التي تتيحها تشكيلة المجتمع ذاته : ميراثه ، وتقاليده ، وميوله ، ونزعاته ، وخصائص ثقافته ، والتوترات الكامنة فى تكوينه الاجتماعى• وهي تتفاعل مع سياسات الدولة فى هذا المجتمع ، كما تطبقها النخب الحاكمة والجهاز البيروقراطى للحكومة فى مرحلة ما [١] •

وعليه ، فإن ثمة أشياء مشتركة يفرضها تطور الرأسمالية فى الثقافة وفى علاقات الانتاج ، وثمة أيضا أشياء متمايزة تخص كل نظام ثقافى على حدا ، ولا يتعلق تغيرها بضرورات تطور الانتاج الرأسمالى وحده ، بل انها قد تكيف هذا التطور وتمنحه طابعا خاصا فى الواقع الملموس • وعلينا أن نحدد بدقة أشكال ودرجات الالتقاء المتوتر بين النزعات العميقة فى الثقافة من ناحية ، وضرورات تطور الرأسمالية ، وبالتالى العولمة من ناحية أخرى [٢]

واذا كان للإعلام الكوكبي المتحالف مع الشركات متعدية الجنسية دور هام فى عولمة الأنماط الثقافية والحاملة لقيم ، وعادات ، وسلوكيات ، وأساليب حياة بعينها ، فإن للشرائح والجماعات الطبقية المعولمة فى المجتمعات المحلية الدور الأكثر أهمية فى تبني وإعادة بث هذه الأنماط الثقافية وجعلها ممكنة ، وقابلة للتطبيق وفقا لإيقاعات مختلفة •

هذه الشرائح الطبقية المعولمة التى تصبح بحكم موقعها المهيمن ، بمثابة القدوة والمثال ،والتى يصبح الاقتراب من أساليب حياتها ورؤاها مقياسا للنجاح أو الفشل •

---

[١] محمد السيد سعيد ، العولمة والقيم الثقافية فى مصر " الآثار والمواجهة ، كتاب قضايا فكرية ، القاهرة ١٩٩٩ ، ص ١٧٠ •

[٢] المرجع السابق ، ص ص ١٦٨ – ١٧١ •

يفرض علينا ذلك ، ونحن نحلل العلاقة بين أنماط القيم الاجتماعيه الكوكبية المؤسسة على بنية طبقية متعدية الجنسية ، أن نضع فى اعتبارنا جانبا على قدر كبير من الأهمية ، وهو المتعلق بخصوصية البنية الطبقية ، أنماط وجودها ووعيها ، فى كل مجتمع من المجتمعات ٠ فصحيح أن هناك شرائح وجماعات طبقية معولمة " متعدية الجنسية " تتشارك وتتواصل على مستويات متعددة ومختلفة ، إلا أن درجة تبلورها ، وفاعليتها ، ومشاركتها ترتبط إرتباطا وثيقا بنوعية المجتمع الذى تنتمي إليه فى الأساس والمنشأ، وكما أن العناصر الثقافية المتعددة تتباين فى درجة عمقها وتجذرها وانتشارها من مجتمع لآخر ، فإن لهذه الوضعية ذاتها تأثير واضح على كافة تكوينات وتشكيلات هذا المجتمع ، سواء أكانت تقليديه أم حديثة " متعديه الجنسية " ذلك أن هذه التشكيلات والتكوينات الاجتماعية الطبقية هى نتاج لصراعات متعددة بين المحلي والكوكبي ، حيث تفضي هذه الصراعات الي اكسابها طابعها الخاص المميز فى كل مجتمع من المجتمعات على حدا ٠ وهو ما لاينفى – بطبيعة الحال – وجود سمات وخصائص عامة مشتركة بين الشرائح الطبقية المعولمة ، خاصة على مستوى وجودها ، بيد أن أنماط وعيها – بحكم مرونتها النسبية – تتداخل فى تشكيلها عوامل عديدة لاتقتصر على ما هو كوكبي ، بل انها تنطوى بالضرورة على ما هو محلى ، وقد يكون بالغ التقليدية فى بعض الأحيان ٠

يحدث ذلك نتيجة لتداخل أنماط الانتاج وتفاعلها على مستويات مختلفة ، إلى الدرجة التى لا نستطيع عندها تقرير أن نسقا قيميا اجتماعيا بعينه يعد نقيا خالصا بذاته ، بل هو متفاعل ومتقاطع مع أنساق قيمية اخري متعددة ذات منطلقات وأطر مختلفة ٠

لاتسير العملية إذن فى شكل خطى على اطلاقها ، حيث أنه من الملاحظ " أنه بقدر ما تتعولم أساليب الحياة ، والأذواق ، يزاد الاصرار –

لدى البعض – على التمسك بالقيم المحلية التقليدية ، كالدين ، واللغة ، والفنون ، والآداب القومية [١] .

وفضلا عن ذلك ، ومما يزيد من الالتباس فى هذا الصدد ، وجود مؤسسات متخصصة ، حكومية وغير حكومية فى الغرب • مركز العولمة – تكرس جهودها ن المادية والفنية ، من أجل حماية التراث الأدبى والفنى ، فضلا عن الأثرى فى العديد من بلدان العالم النامى ، انطلاقا من أن ذلك التراث لايخص بلدا أو مجتمعا بعينه ، وانما هو جزء من التراث الإنساني الحضارى الشامل ، وان ذلك يستدعى حماية ما هو متواجد منه ، ومحاولة بعث ما اندثر منه أو قارب على الاندثار •

ورغم ان هناك من يصور الأمر على أنه عبارة عن رغبة وارادة مطلقة لطمس الهويات والقيم ، ومحاولة فرض نسق قيمى موحد على الجميع [٢] ،فإن علينا أن نتفهم بقدر أكبر من الوضوح ورحابة الرؤية أن هناك نمط انتاج رأسمالى مهيمن يحاول أن يشيع قيمه المختلفة ، والتى فى القلب منها القيم الاستهلاكية ، وهو يصادف نجاحا طالما لايجد المقاومة الفاعلة التى تطرح بديلا ذا قيمة [٣].

ولكن ورغم كل ذلك ، فإننا لانستطيع أن نغفل أن هناك هامشا للمنافسة / المقاومة يتسع بقدر العمل الفاعل على هذا الصعيد [٤]، وإلا ما نجحت وانتشرت المطاعم الصينية ، واليوجا اليوذية ، والافلام والاغنيات الهندية ، فضلا عن السينما الايرانية ، وكذا موسيقى الراي الامازيغية ،

---

[١] جون نيصبات ، الاتجاهات الكبري عام ٢٠٠٠ ، سلسله ا لدراسات المستقبليه ، مركز دراسات العالم الاسلامى ، مالطا ، ١٩٩١ ، ص ص ١٣٠ – ١٣١

[٢] عبد الاله بلقزيز ، العولمة والهويه الثقافية ، المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، العدد (٢٢٩) مارس ١٩٩٨ ، ص ص ٩١-٩٩

[٣] Craig Runde, what Values will Guide our future in An era of Globalization? P:1 (www.ru.org/runde – 113)

[٤] Kevin Danaher, People's globalization vs.elite globalization, international socialist Review, Issue 19, luly – August 2001, pp 1-2. (www. Isreview. Orglissues/19/ Kevindanaher. Shim)

والايقاعات والرقصات اللاتينية ٠٠ الخ وكلها من جواهر الثقافات الواقعة في العالم غير الغربى ٠

ثانيا : العولمة وتحولات الرؤى العامة :

فى ظل هذا المشهد الثقافى العالمى ، الذى ينطوى على قدر من التناقض المتولد عن تفاعل السياقين ، الكوكبي والمحلي ، وعلى مستوى أخر من التحليل لتأثيرات العولمة – خاصة فى جانبها الاتصالى المعلوماتى – على مجمل أفكارنا ، وقيمنا ، ورؤانا ٠٠٠ ، نناقش جانبا من التحولات التى طرأت على بعض الرؤى العامة ذات التأثير على مجمل أحكامنا واختيارتنا ، والتى تعبر فى محصلتها النهائية عن المفهوم المحورى فى موضوعنا الأساسي ، وهو تحولات أنساق القيم الاجتماعية ٠ منطلقين فى هذا من مفهوم للقيمة بوصفها : " حكم عقلى و/أو انفعالى على أشياء مادية أو معنوية ، يوجه الأفراد فى اختياراتهم بين بدائل السلوك في المواقف المختلفة (١) ٠

هذا ويعد رصدنا للتحولات التى طرأت على هذه الرؤى العامة بمثابة استكمال لجوانب أخرى من المشهد الثقافى العالمى ، الذى أعادت العولمة تشكيله على مستويات مختلفة ٠

وتتركز مهمتنا فى هذا المقام على مناقشة لثلاث رؤى عامة أساسية تتعلق بالنسبية ، والحدود الفاصله، والعالم المحاكى ، وذلك على النحو التالى :

١– من المعلوم أن العالم قد مر بمرحلة يطلق عليها (المرحلة النيوتونية) – نسبة الي نيوتن – وهى بمثابة نسق كامل متكامل يحلل العالم ويفسره من كافة جوانبه ٠ هذا النسق النيوتوني الكونى اتسم بالشمول وبإطلاقية الحكم على الاشياء – مادية وغير مادية – بدرجة كبيرة ، وعلى كافة

---

(١) سمير نعيم أحمد ، أنساق القيم الاجتماعية : ملامحها وظروف تشكلها وتغيرها فى مصر ، مجلة العلوم الاجتماعية ، الكويت ، العدد الثانى يونيو ، ١٩٨٢ ، ص ١٢٢ ٠

المستويات • وهو ما ميز بدايات العصر الصناعى فى أوروبا والذى قام على أساس ميكانيكى • وقد ظل هذا النسق النيوتونى الاطلاقى مهيمنا حتى جاء (اينشتين) بنسبيته الشهيرة ، والتى حولت المجرى فجعلته قائما على نسق متكامل آخر مغاير لرؤية العالم وتفسيره ، فأصبح لنسبية النظر والتفسير دورها المتجلى بوضوح فى كافة ميادين العلم والفكر الحديث ، بل والحياة بأكملها ، وغدت العلمية مقترنة بالنسبية ، مما جعل للمرونة – كبديل عن الدوجماتية والاطلاقية- مكانتها ودورها فى كافة الطروح ، ليصبح من يدعى امتلاك الحقيقة المطلقة مجرد واهم ذى فكر ورؤية غير سوية •

وفى الراهن يمر مفهوم النسبية ذاته بتحول ينزع نحو الإفراط ، ليصبح لدينا ما يمكن أن نطلق عليه النسبية المفرطة ، يحدث ذلك كأحد النتائج المترتبه على الفيض المعلوماتى ، حيث تصبح وفرة المعلومات عند درجة بعينها عاملا من عوامل الفوضى ، والحيرة ، واللاتحديد ، ويصير الحكم الفصل بصحة سلوك ، أو قرار ، أو ظاهره ، أو خطأهم جميعا أمرا عسيرا للغاية • لقد تجاوز العالم الاطلاقية التى تقول إما هذا وإما ذاك فى حكم كلىشامل مطلق ، كذلك تجاوز مرحلة النسبية المنضبطة التى تعنى تعدد الآراء ، والرؤى ، والاتجاهات ، ليلج فى الراهن ، والمستقبل بدرجة أكبر ،.مرحلة الإفراط فى النسبية والتى تعكس تداخل الآراء ، والرؤى ، والاتجاهات ، كنتيجة لتعدد المصادر ، والأحكام ، والزوايا ، والثقافات •• ، إلى حد مذهل على نطاق كوكبى فى عصر المعلومات • وظاهرة كهذه تعد من أكثر المفارقات التى تشهدها البشرية • فالإنسان – بشكل عام – يجد صعوبة بالغة فى اتخاذ قرار ، أو اختيار محدد بشأن أشياء أو مسائل لاتتوافر لديه معرفة جيدة أو كافية بشأنها ، أو لنقل يجهلها ، كما وأنه يكون فى نفس الموقف الصعب تقريبا اذا توافرت لديه معلومات بالغة التنوع ، والغزارة ، والتناقض " فى أحيان عديدة " حول نفس الاشياء والمسائل !! وهنا تكمن المفارقة ، حيث يفضي شح المعلومات وفيضها إلى نفس النتيجة

تقريبا • وبالنظر إلى مصادر المعلومات ، كماً ونوعـاً ، يكـون التسـاؤل مشروعا بشأن الدور الذى تلعبه تلك المصادر المهيمنة فى حالات الفوضى العالمية الممكنة ، خلقاً وتوجيهاً وتحريكـاً ، مـا الأهـداف ومـا نوعيـة المصالح ؟[١]

٢- كذلك ينتقل العالم إلى مرحلة تفقد خلالها رؤيتنا (للحـدود الفاصـلة) دلالتها التقليدية السابقة • وهو ما يمكن رصده على عـدة مسـتويات ، نظرية وواقعية • فالحدود بين النظريات المختلفة ، والمجالات العلميـة المتعددة تتلاشى بدرجات ملحوظة " في حين تتنامي التخصصات التـى تقع على حدود العديد من العلوم والمداخل ، وهوما يتبدى جليـا فـى البزوغ القوى لما بات يعرف بالمداخل البينيـة Interdisciplinary ، والمتقاطعة Crossdisciplinary [٢] ، وهو ما يجعلنا نخلص إلي أننـا بصدد : انتهاء عصر النموذج الصرف :

The end of Pure model era ، لنلج عصر النماذج

المتمازجة : The Mixed Models era

نفس الأمر يمكننا ملاحظته على مستوى الواقع.الانسانى الملمـوس بدرجة أكبر ، حيث تتلاشى الحدود الفاصلة بين الدول بفعـل نظـم الاتصالات والمعلومات ، كما تتلاشى الحدود بين الأعمال وفقا للنوع (الرجل والمرأة) ، حتى الحدود بين الأعمار وما يرتبط بهـا مـن خبرات تتلاشى لدرجة أن الأصغر سنا فى ظل نظم التعليم الحديثـة والتكنولوجيا.المتقدمة ، أصبح بإمكانه تجاوز الأكبر سنا ممن سـبقوه فى نفس المجال والأكثر خبرة فيما مضي ، نتيجة لتجدد العلوم كيفيا

---

[١] محمد عبد المنعم شلبى ، اوروبا الموحدة ونموذج اشتراكية المستقبل ، مجلة القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، نوفمبر ١٩٩٥ ، ص ص ٥ – ١٧ •

[٢] ضياء الدين زاهر ، كيف تفكر النخبة العربية فى تعليم المستقبل ، منتدى للفكر العربى ، عمان ، ١٩٩٠ ، ص ص ٥٣- ٥٦

فى مدى زمنى محدود وقياسي ، مما يجعل علوم السابقين متقادمة بالنسبة إلى علوم اللاحقين ، وبالنظر إلى ما تتطلبه العلوم المتقدمة فى الراهن من مرونة عقلية وديناميه ، وقدرة على التجدد المستمر ، تصبح فرص هؤلاء اللاحقين (صغار السن) أكبر من السابقين عليهم (كبار السن) ، وذلك ما يتعمق أثره حال ركون هؤلاء الكبار إلي معارفهم التقليدية وعدم لحاقهم بالثورة المعرفية الحالية التى تتزايد ويتسع نطاقها يوما بعد الآخر • وفضلا عن كل ما سبق ، نستطيع ملاحظه تلاشى الحدود الفاصلة بين الخيال والواقع ، والذى نجد أبرز تجلياته متحققة فيما يعرف " بالواقع المحاكى Virtual reality " وهوما يعد ثورة حقيقية ، وخرقا لكافة ما تعارفت عليه البشرية منذ وجدت ووعت ذاتها ، ولا يعلم أحد تحديدا حتى الآن مدى الامكانات الثرية التى يمكن أن ينطوى عليها تلاشى الحدود فى هذا المقام فى كافة المجالات ، من التعليم والصحة إلي السياحة والترفيه •

٣- وعلى مستوى أكثر اتساعا ، يدخل العالم فى كليته مرحلة يمكن أن نطلق عليها مرحلة " العالم المحاكى The Virtual world " ، والتى يتجاوز خلالها مفهومنا عن الوجود المادى الملموس ، التقليدى ، المحدود منطلقا صوب مرحلة يترافق فيها مع هذا الوجود التقليدى نوع آخر من الوجود الموازى " المحاكى " ، وهو يتسم باللا محدودية ، وبكونه اللامادى ، معتمدا فى جوهره على وسائط الاتصالات والمعلومات • وهو يتيح ، وبشكل مكثف وتراكمي ، خبرات واسعة بمجالات متعددة ، وبقيم ، ومعايير ورؤى ، وأساليب حياة مغايرة للسائدة فى الوجود التقليدى •

هذا التحول يتيح امكانية تخلق " وعى " يفترق عن الوعى التقليدى المحدود بحدود الوجود المادى ويتحرر من نطاقاته الضيقة • ذلك أن نطاق

الرؤية قد اتسع بشكل مذهل ، وأصبح بالإمكان معايشة نوعيات عديدة ومتباينة تماما من الخبرات فى ذات الوقت لإنسان واحد في فترة زمنية قياسية ، دون أن يبرح مكانه إلا قليلا • وهنا يصبح التساؤل مطروحا بشدة حول الآثار المستقبلية المتوقعة لهذا (العالم المحاكى) الجديد على القيم والممارسات وأساليب الحياة ، ورؤى العالم ، إلي جانب التأثير الطاغى الذي سيمارسه – بطبيعة الحال – علي مفهومى : الزمان والمكان ، بحدودهما التقليدية ، وتأثير كل ذلك على تصورات الانسان ومفاهيمه [١] .

هذه التساؤلات – إلي جانب غيرها بالطبع – تنسحب كذلك على تأثير التحول الذى أصاب الرؤى المختلفة ، النسبية، والحدود الفاصلة، إلى جانب العالم المحاكى ، على مجمل أنساق القيم ، والتى هى فى جوهرها ما نتبناه من أحكام على الأشياء بغرض الاختيار من بين بدائل مختلفة • فإذا كان الحال كذلك ، فإلى أي مدى يكون من الممكن الحديث بشأن الاتساق النسبى الذى من اللازم أن يتمتع به نسق قيمى بعينه فى مرحلة التحول هذه ؟ وإلى أي مدى يصير ممكنا،وجود نسق قيمى انسانى كونى Universal ، وآخر كوكبي ناتج عن عملية العولمة " الرأسمالية " بالتحديد ، بكافة ملابساتها ، والتى من بينها الحركات المضادة لها ؟

ثالثا : القيم الانسانية الكونية :

فى ظل هذا المشهد الثقافى العالمى الحافل بالتناقضات ، ما بين الكوكبي والمحلى من جهة ، والتداخلات التي تشهدها المنظورات والرؤى فى الحكم على الأشياء، مادية ورمزية ، من جهة أخرى ، وما يترتب عليه ذلك من صراعات عديدة يخبرها الانسان – بشكل عام – فيما يتعلق بالواقع المعاش وأنساق القيم المختلفة المتولدة عنه ، جرت محاولات عديدة من أجل

---

[١] محمد عبد المنعم شلبي ، الدراسات المستقبلية العربية ، تقويم نقدى وتصورات مقترحة ، (في): نيفين عبد المنعم (محرر): ندوة الدراسات المستقبلية العربية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٩٨ ، ص ص ١٠٥ – ١١٢ •

التعرف على أهم وأبرز القيم الانسانية العامة المشتركة ، ذات الطبيعة الكونية Universal Human Values . ليس لهذه الأنساق القيمية الكونية من صلة بالقيم المتولدة بفعل عملية العولمة الرأسمالية ذات الطبيعة المغايرة ، بيد أنها تعد من قبيل المحاولات البحثية الهادفة إلى تلمس ما هو عام ومشترك بين البشر دون تفرقة • ونحن نعرضها في هذا المقام مع علمنا بأنها لاتغنى عن دراسة أنساق القيم الكوكبية " متعدية الجنسية " والتى تقوم فى الاساس على دراسة اللشرائح الطبقية المعولمة ، بغية التعرف على جدل الكوكبي والمحلى لدى هذه الشرائح والجماعات الطبقية ، بدلا من اصدار التعميمات الجارفة ، والتى لاتستند إلى الدراسة الواقعية الامبيريقية بقدر ما تستند إلى الرؤي والأحكام التأملية والايديولوجية •

وفيما يتعلق ببحوث القيم الكونية نجد أن هناك من الباحثين من أجرى أبحاثا تنصب على بعض المجتمعات ، فى حين توسع البعض الآخر منهم ليشمل بحثه ، أو مسحه ، عشرات المجتمعات فى جميع أنحاء العالم •

وقد كانت الفرضية السائدة لديهم منذ البداية " أن الناس تتشارك فى قيم عامة ، فى نفس الوقت الذى يتبنون فيه قيما أخرى مختلفة أو أنهم قد يتبنون نفس القيم بدرجات مختلفة [١]•

كما يعتقد البعض : أن المجتمعات البشرية والثقافات المختلفة لها العديد من السمات المشتركة ، متضمنة المشاركة فى بعض القيم الجوهرية التى تقترب من أن تكون كونية • حيث أن هناك بعضاً من التشابهات الأساسية فيما يتعلق بأحكام الناس على بعض الأمور لما يعد صوابا وما يعد خطأ • ولعله مما يدعم ذلك أيضا أن الناس وثقافاتهم متشابهين بالقدر الذى يسمح للبشر من ثقافة ما بالإتصال بثقافات أخرى وتعلم لغاتها ، وتفهم أساليب الحياة فيها • وبالرغم من أن هناك ثمة حواجز صعبة – فى بعض

---

[١] Peter Heller , Technology Transfer and human values, university of america, Boston, 1985, p:25.

الأحيان – تتعلق باللغة ، فإن الثقافات متشابهة إلي الدرجة التي تسمح بتجسير عمليات بناء التفاهم المشترك بين الناس وبعضهم البعض [١] .

* واذا كنا قد عرضنا وناقشنا فى السابق – بالتفصيل للعولمة من حيث مفهوماتها ، ومقارباتها النظرية ، وفعاليتها ، وخلصنا – فى عديد من المواضع – إلى أن جوهر قيم العولمة ، هى قيم الرأسمالية العالمية ذات النزوع الليبرالى الجديد ، والتى تركز على الربح ، والاستهلاك ، والمادية ، والذاتية ، والتسليع ، والوقتية ، والبراجماتية .. الخ ، فإن لنا أن نستعرض فى هذا الصدد نوعا آخر من المساهمات التى اجتهد بعض الباحثين والمفكرين فى طرحها بشأن رصد ما يمكن أن يطلق عليه : قيما انسانية كونية . حيث نعرض فيما يلى أبرز ما تمخضت عنه بحوثهم من نتائج :

١- وبداية نجد (وندل بل w.Bell)يطرح أربعة قيم انسانية يعدها قيما جوهرية ، تتمثل فى : (١) المعرفة (٢) تقدير الذات (٣) العدالة (٤) التعاون .

وهو يقرر أن هذه القيم لم تجتز فقط اختبار الزمن الماضى ، ولكنها ربما تمثل الركن الأساسى بالنسبة للمستقبل الأفضل للبشرية .

٢- وطرح (لازويل Lasswell) ثمانيه قيم واسعة النطاق مشتقة من مفهومه للكرامة الإنسانية . وكل قيمة منها مرشحة بقوة لأن تكون بمثابة قيمة كونية

هذه القيم تتمثل فى :

١) المشاركة فى القوة ٢) التنوير ٣) الثروة (الكافية وليست الضخمة) ٤) الحالة أو الوضعية الجيدة ٥) المهارة ٦) التأثير ٧) الاحترام ٨) النزاهة .

---

[١] W.Bell, Foundations of Futures Studies (vol.2) Transaction publishers, New bunswick, new Jersy , 1997 ,ppL 171-173

ويري (لازويل) هذه القيم بوصفها فئات عامة تصلح لأن نشتق منها معظم القيم الأخرى لتنضم اليها ، كالقائمة المطولة للحقوق المدرجة فى العهد الدولى لحقوق الانسان الصادر عن الأمم المتحدة ٠

٣- كذلك صاغ (نارول R.Naroll) أربعة قيم افترض أنها تمثل الأسس القيمية للمجتمع الكونى المستقبلى ، وهى على النحو التالى :

١) السلام (السلام العالمي ، تخفيض اعداد الجيوش الهجومية وأسلحة الدمار الشامل ، وجود قانون عالمى يتم تطبيقه دون الحاجة إلى قتل الشعوب) ٠

٢) الانسانية (جعل الناس ، كل فرد منهم ، مقياسا لكل من الخير ، والحقيقة ، والخير الأقصى المتمثل فى السعادة الارضية للبشرية).

٣) التهذب (وتتضمن فكرة الأخوة الممتدة للبشرية جمعاء ، حيث يساعد الناس بعضهم البعض) ٠

٤) التقدم (خصوصا فيما يتعلق بالقدرات المعرفية ، تلك التى تساعد الناس فى السيطرة على حياتهم) ٠

٤- وهناك محاولة أخرى قام بها (رشورت كيدر R. Kidder) حينما توجه بالسؤال إلى أربع وعشرين رجلا وإمرأة من ذوى المكانة حول العالم بشأن ما قد تحتويه شفرة كونية للقيم فى رأيهم ؟ وعلى الرغم من أن المستجيبين كانوا متنوعين وينتمون إلى مجتمعات مختلفة ، فإنه قد وجد إجماعا على ثمانى قيم جوهرية ، وهى :

١) الحب (متضمنا الاهتمام بكل الناس ، المساعدة المتبادلة ، والترفق بالآخرين) ٠

٢) الحقانية (وتتضمن كونك أمنيا ، محافظا علي وعودك ، صادق ، لاتسلك سلوكا خداعيا) .

٣) النزاهة (متضمنة العدالة ، اللعب النظيف ، المساواة ، مع ملاحظة أن اللامساواة هى في بعض الاحيان عدل) .

٤) الحرية (تتضمن التحرر والديمقراطية) .

٥) الوحدة (تحتوى على المشاركة ، والتعاون ، والجماعية ، والتوحد مع الآخر) .

٦) التسامح (ويتضمن حدود طرْح قيمك على الآخرين ، واحترام كرامة كل شخص ، وحق كل شخص فى أن تكون له أفكاره الخاصة (وذلك مع أهمية الانتباه إلى أن هناك حدودا على السلوك الذى ينبغي أن يكون محل تسامح) .

٧) المسئولية (تتضمن الاهتمام بالذات والآ خرين ، والاهتمام بمصالح المجتمع المحلى) .

٨) احترام الحياة .

* وفضلا عن تلك القيم الثماني الاساسية ، عبر هؤلاء المستجيبون عن اهتمامهم بثلاثة قضايا معاصرة بشكل مختصر وهى : التناغم بين الأجناس ، واحترام حقوق المرأة ومساواتها بالرجل ، وحماية البيئة . وهى قضايا تعكس قيما كان من الممكن أن تضاف إلى سابقاتها لولا أنها لم تحظ بنفس الدرجة من الاتفاق حولها [1].

٥- وفى اطار تقسيم المجتمعات إلى ما قبل حديثة وما بعد حديثة ، يقرر (لويك هالمان) أن المجتمعات الحديثة وما بعد الحديثة تزداد فيها القيم

---

[1] Ibid: pp:172- 181

التى تتزع نحو الاستقلالية الفردية والاهتمامات الذاتية والميول الشخصية . حيث أصبحت الأهمية الأولى فيها للحرية الفردية ، كما أصبح الأفراد فيها أقل اعتمادا على المؤسسات التقليدية ، الاجتماعية والدينية ، فبدلا من الاعتماد على تلك المؤسسات وعلى توجهاتها ، أصبح الأفراد يتحملون مسئولية أفعالهم الشخصية ، ومسئولية اختياراتهم لأساليب حياتهم . ولهذا يتراجع أثر السلطة الجمعية لصالح الاستقلال الشخصي أو من أجله .

ويرصد (هالمان) مجموعة من القيم المترتبة على هذه الوضعية وهي المتمثلة فى :

١) الاستهلاكية ٢) العدمية ٣) النرجسية

٤) السعاده الحسية ٥) الأنانية ٦) الانعزالية .

* وهو يخلص إلى أنه لم يعد هناك نظام عام للمعايير والقيم ، ولذا تتنوع المصادر التى يستقى منها الأفراد قيمهم ، حتى أصبح كل فرد بذاته هو المرشد الأخلاقى لنفسه ، وأصبح وجود المعايير والقيم الأخلاقية الصارمة مستحيلا فى المجتمع الفردى الحديث [١] .

٦- وفضلا عما سبق ، هناك جهد آخر بذله رونالد انجلهارت R. Inglehrt عندما أشرف على مسح شامل للقيم حول العالم ، من خلال مشروع (مسوح القيم العالمية The world values surveys وهو المشروع الذى شمل القارات الست المأهولة فى الاعوام ١٩٨١ ، ١٩٩٠ ، ١٩٩٥ ، ٢٠٠٠ .

---

[١] لويك هالمان ، هل تتعرض الاخلاق للانحدار ؟ المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، اليونسكو ، العدد (١٤٥) ، سبتمبر ١٩٩٥ ، ص ص ٦٣-٧٠

وقد غطى المسح الأخير أكثر من (٦٠) مجتمعا يمثلون ما نسبته ٧٥% من سكان العالم ، بتنوعاتهم المختلفة ، ووفقا لمتغيرات متعددة، منها متوسط الدخل السنوى ، ونوعية نظم الحكم ، والنظم الاقتصادية ....الخ [١] .

وقد صمم هذا المسح منطلقا من فرضية عامة مؤداها : ان التنمية الاقتصادية تؤدى إلى حدوث تغيرات معينة فى قيم الجماهير ونظم معتقداتهم ، والتى تؤدى بدورها إلى تغذية مرتدة ، يتبعها إحداث تغييرات فى الانظمة الاقتصادية والسياسية فى هذه المجتمعات [٢].

وقد خلص (انجلهارت) من خلال المسح إلى تقرير أن العالم بصدد صعود نسق جديد للقيم ليحل محل نسق القيم الذى ساد خلال فترة المجتمع الصناعى ، وهو يطلق على تلك القيم الجديدة مسمى : " قيم ما بعد المادية " اتساقا مع تحول المجتمع الصناعى إلى ما بعد الصناعى ، والحديث إلى ما بعد الحديث.

ولعل من أبرز القيم التى بالإمكان استخلاصها فى هذا الصدد ما تمثل فيما يلى :

(١) الرغبة فى الابتعاد عن المظاهر الترفية والاعتدال فى الرفاهية الذاتية .

(٢) التأكيد على المثابرة والقدرات الابداعية ، بدلا من التأكيد على بذل الجهد الشاق فى العمل .

(٣) التعبير عن الذات بإنجاز عمل ذى معنى أو هدف .

---

[١] R.Inglehart, Globalization and Postmodern values, The washington Quarterly , winter 2000, P:215.

[٢] رونالد انجلهارت ، القيم المتغيرة والتنمية الاقتصادية والتغير السياسي ، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، العدد (١٤٥) ، سبتمبر ١٩٩٥ ، ص ١٠ .

(٤) قبول المعايير الذاتية فى العمل ٠

(٥) التأكيد على الخبرات النوعية فى العمل ٠

(٦) أولوية الأهداف الاجتماعية على معايير الانجاز ٠

(٧) التأكيد على المستقبل المهنى للمرأة ورفض افتراض أن المرأة فى حاجة إلى الاطفال (الأمومة) ٠

(٨) رفض افتراض أن الاطفال بحاجة إلى وجود أب وأم (أسرة تقليدية) لينشأوا فى سعادة ٠

(٩) الشك فى العلم والتكنولوجيا وقدرتهما على مساعدة البشرية وعدم الاضرار بها ٠

(١٠) أولوية التعبير عن الذات ، والمشاركة فى صنع القرار على كافة المستويات [١]

استخلاصات وملاحظات اساسية :

ثمة ملاحظات أساسية مستخلصة مما طرحه الباحثون بشأن القيم الانسانية الكونية ، لعل أهمها :

(١) انها تتسم بالعمومية والاطلاقية فى معظمها ، فهى عبارة عن مجموعة من القيم الفضفاضة ذات الطابع التأملى ٠ وقد تكون خصيصتى العمومية والاطلاقية ملازمتين للحديث عن قيم لها الصفة الكونية ، إلا أن محاولة الباحث لتوصيفها من خلال الانطلاق من تجسداتها المتمثلة فى التشكيلات والتكوينات الاجتماعية الطبقية ، وتجادلها مع بنية مجتمعة شاملة قد يمنحها المعنى والماهية ، فليس

---

[١] المرجع السابق ، ص ص ١٩ -٢٩ ٠

من المنطقى أن تختلف بنى المجتمعات ما بين متقدم ومتخلف ، فى حين يسود إجماع على نفس القيم • وكما تتباين المجتمعات فيما يتعلق بتقدمها أو تخلفها التنموى ، فإنها تتباين أيضا فى ثقافاتها العامة والفرعية ، ومن ثم تختلف التحديدات والمعانى التى تسبغها على تلك القيم ، فهى ليست موحدة فى معناها ومغزاها ، فضلا عن أولويتها بالنسبة لجميع أوحتي معظم الشعوب ، كما فى طرح ا لباحثين الذين عمومها – بهذه الصورة – على اعتبار انها قيما كونية يتشارك فيها جميع البشر ويتبنونها على اطلاقها •

(٢) كذلك نلاحظ أن ما طرحه معظم هؤلاء الباحثون لايعدو كونه مجموعة من القيم الانسانية العليا ، ومن ثم فهى لم تتعد مستوى المثال ، أما الواقع الممارس والمعاش فيفرض علينا قيما أخرى مغايرة ، تلك التى قد تختلف جذريا عن تلك المثالية • يدلنا على هذا أننا لم نجد من هؤلاء الباحثين من يناقش وجود قيم انسانية سلبية ، فيما عدا (هالمان) تقريبا ، فى حين أن غالبتهم قد تناول القيم بوصفها مثلا عليا ، ومن ثم فهى ايجابية على طول الخط •

(٣) وفضلا عن عمومية ومثالية القيم التى طرحت ، نجد أن أحد أبرز المساهمات فى هذا الصدد قد كشفت لنا عن مجموعة من القيم التى تتسم بخصوصيتها الملحوظة ، والتى لايمكن الانطلاق منها نحو التعميم على مستوى الكون ، واعتبارها قيما انسانية عامة • نرى ذلك فيما طرحه (انجلهارت) من قيم أطلق عليها : ما بعد المادية ، تلك التى لا تكاد تنطبق سوى على بعض الجماعات والشرائح الاجتماعية فى ا لمجتمعات الصناعية المتقدمة ، وقد تمتد الى خارجها بشروط خاصة تحتاج إلي المزيد من الدرس والتحليل •

• ورغم جملة الملاحظات التى من الممكن أن توجه إلى تلك المساهمات ، يظل لتلك المساهمات قيمتها المقدرة ، والتى يمكن الانطلاق من بعضها والتأسيس عليه بقدر أكبر من الاحكام النظرى والمنهجى • يتحقق ذلك من خلال رصد القيم انطلاقا من عوامل ومحددات موضوعية ، كأن تكون التحولات البنائية الكوكبية الراهنة ، والتى تفضى ، في تفاعلات أبعادها – الاقتصادية والسياسية والايديولوجية – الى تبلور تشكيلا ت اجتماعية وتكوينات طبقية ذات خصائص نوعية • ومن خلال دراستنا لتلك التكوينات والظروف المحيطة بها ، نستطيع أن نخرج فى نهاية الأمر ، وبقدر أكبر من التحديد والوضوح بما يمكن ان يكون بمثابة أنساق للقيم الكوكبية المنتسبة إلى تلك التكوينات الكوكبية المتحولة • تلك الأنساق التى تعد قلب بنية الوعى الكوكبى فى المرحلة الراهنة •